كلهم مجانين وأنا أيضا !

من ذكرياتى التى كدت أنساها لقائى مع الشاعر عبد الرحمن شكرى . . وهو أحد الثلاثة الذين ألفوا فى العشرينات كتاب « الديوان » فأقاموا به ثورة فى مسار الشعر العربى الحديث . .

كان أولئك الثلاثة هم : عباس محمود العقاد وابراهيم عبد القادر المازنى وعبد الرحمن شكرى . . ولم يكن لقائى بهذا الشاعر أدبيا أو شعريا . بل إن كلمة الأدب أو الشعر لم يرد فيا ذكر على الاطلاق فى ذلك اللقاء الأول والأخير . . فقد أرسلوا لأستجوبه فى أمر نسب إليه يوم كان ناظرا لمدرسة رأس التين الثانوية ، فيا أذكر . وكنت أنا مديرا لادارة التحقيقات بوزارة المعارف . . قالوا إنه انتدب رئيسا للجنة امتحان الثانوية العامة بمدينة أسيوط . فتتبع صناديق اسئلة الرياضة بدلا من أسئلة اللغة العربية . فأحدث بذلك ارتباكا فى الامتحان . فاستوضحته . فأجاب بكلام مضطرب ولسان متلعثم أنه مصاب بالأرق ولم ينم ليلة الامتحان ، ولا يدرى كيف حدث هذا الذى حدث . . وكنت أعرف من مقال هاجمه فيه المازنى بقسوة أنه مريض يأعصابه إلى درجة تكاد تقربه من الخبل أو الجنون . فسألته :

– هل تشكو من هذا الأرق كثيرا ؟

– جدا .

– وهل عرضت حالتك على طبيب ؟

– طبعا .

– وهل أطلعت المسئولين فى الوزارة على حالتك عند انتدابك لرياسة لجنة الامتحان ؟

– بدون شك .

– هل انت متأكد أنك افهمتهم بحالتك ؟

– كل التأكد . . قلت لهم بالحرف إنى لا أصلح لتحمل مسئولية هذه اللجنة لأنى مريض . . ولكنهم لم يسمعوا لى .

– متشكر .

ورجعته يوقع على أقواله ، وينصرف . . ولست أدرى الآن كيف تركته ينصرف دون أن أحادثه فى كتاب « الديوان » وفى رأيه عن الشعر . . . وعن مفهوم شعره . وما الذى دفعهم هو والعقاد والمازنى إلى هذه المعركة الشعرية ؟ ! . لم يكن فى ذهنى شىء وقتئذ إلا أن اخلصه مما نسب إليه . . فما كاد ينصرف حتى بادرت بكتابة مذكرة أنهم فيها المسئولين بأنهم هم السبب فيا حدث . . وأنه بمجرد أن أعلمهم بأنه عاجز عن القيام بالمهمة لأسباب صحية تقع عليهم هم المسئولية فى عدم اخذ قوله مأخذ الجد . . واطلع المسئولون على مذكرتى . وهزوا رءوسهم وقالوا :

– طبعا ! . . أديب يدافع عن أصحابه الخايبل ! . .

□□□□□

وبمناسبة الخبولين والعقلاء عرضت قضية أخرى فى تلك الأيام على أيضا فى تلك الوزارة . . قضية مدرس تاريخ اعتاد لبس طربوش أخضر اللون برز أبيض . وبعد مذكرة من ناظر مدرسته باقتراح عرضه على طبيب أمراض عقلية . وكان الذى يرافقه ويحمل المذكرة هو مدرسا آخر فى نفس المدرسة . مدرس حساب عادى المظهر بطربوشه الأحمر المعتاد وزيه الأسود . ولم أجد ضرورة فى استجوابه ما دام أمره سيعرض على طبيب . ولذلك اكتفيت بالموافقة على الاقتراح بعرضه على الطبيب . على أن يعرض علينا الأمر بعد ذلك مع تقرير الكشف الطبى . . وخرج المدرسان من عندى بطربوشيهما الأحمر والأخضر . وذهبا إلى طبيب الأمراض العقلية . وهناك كما قيل فى حديث الآتى :

تقدم مدرس الحساب العاقل إلى الطبيب مشيرا إلى صاحبه :

– حضرتك مدرس تاريخ بالمدرسة الخديوية . وهو كما ترى حضرتك يلبس دائما هذا الطربوش الأخضر؟ . ثم غمز الطبيب بعينه من طرف خفى بأن هذا المدرس مصاب بخلل فى العقل . . وعندئذ التفت الطبيب إلى هذا المدرس وسأله :

– لماذا تلبس هذا الطربوش الأخضر ؟ . .

فأجاب بكل رزانة :

– لأن هذا هو المنطق .

فقال الطبيب :

– منطق . أن تلبس طربوشا أخضر ؟ ؟

فأجاب المدرس :

– طبعا . هذا هو المنطق . . لأنه يتفق ولون العلم المصرى . . أليس العلم المصرى أخضر اللون ونجومه بيضاء ؟ . . وكان العلم المصرى بالفعل فى ذلك العهد لونه أخضر ونجومه بيضاء . .

واسترسل مدرس التاريخ يقول :

– من المنطق إذن والطبيعى أن يكون لون طربوشنا بلون علم بلدنا وراية وطننا . . أما غير المنطق وغير الطبيعى فهو هذا الطربوش الأحمر الذى يلبسه زميلى هذا مدرس الحساب بالمدرسة . ولذلك جئت به إلى حضرتك كنموذج لعدم المنطق لتنصحه هو واخوانه بالتشى مع المنطق والمعقول . .

فسأله الطبيب :

– وهل أنت الذى جئت به ؟ .

فقال :

– طبعا . . لأنه . .

وغمز بعينه وأشار إلى أن يعقل زميله هذا خللا .

وحار الطبيب وسأل :

– من منكما الذى جاء بالآخر ؟

فصاح كل منهما :

– أنا .

– ومن منكما المطلوب الكشف عليه ؟

فأشار كل منهما إلى زميله .

فقال الطبيب كأنه يخاطب نفسه :

– المسألة تعقدت . وليس أمامى إلا أن أكشف عليكما معا . ولا داعى لاتهام أو دفاع . أنا سأحكم بنفسى . . وأنتما الزما الصمت تماما . . وعلى كل واحد منكما الهدوء التام . ولا يتكلم إلا اجابة عن سؤالى . فالمسألة دقيقة . وعندنا فى عملنا أن التمييز بين العقل والجنون صعب . وفى

عباس محمود العقاد

ابراهيم عبد القادر المازني

الطربوش

حالتنا هذه سأحكم المنطق وحده . .

فصاح مدرس التاريخ :

– فليحي المنطق ! . .

فنظر الطبيب إلى مدرس الحساب :

– وأنت . . ما قولك ؟ . . .

فقال محتجا :

– ولكنه هو المجنون يا دكتور . . وأنا المكلف بإحضاره إلى حضرتك .

فقال الطبيب :

– فليكن . . لا بأس . . كلهم يقولون ذلك . . كلهم يقولون عن غيرهم إنه هو المجنون . . ولكني سألجأ إلى الاختبار المباشر لكل منكما . . . ومقياسنا هو المنطق . . فلنحتكم إلى المنطق وحده . . ما قولك يا استاذ الحساب في حكم المنطق ؟ . .

فأجاب :

– المنطق يعني المعقول . . والحساب الذي ادرسه يقوم على المعقول . .

فقال الطبيب :

– عظيم . . فلنبدأ إذن بالسؤال . . والاجابة المنطقية المعقولة هي التي تفصل في الموضوع وتحسم الخلاف . .

قل لي يا صاحب الطربوش الأحمر ، لماذا أنت تلبس هذا اللون ؟ . .

فقال :

– ودي عاوزة سؤال يا دكتور ؟ ! طول عمر أهل البلد كلهم بالطربوش الأحمر .

قال الطبيب :

– صحيح . لكن لماذا يلبس أهل البلد هذا اللون ؟ .

أجاب :

– والله . . اسأل حضرتك أهل البلد . .

فقال مدرس التاريخ :

– تقليد تاريخي قديم . . من أيام العثمانيين . . ولكن أهل البلد غير ملتفتين للخطأ . . وأن هذا اللون لا يتفق ولون أرضهم الخضراء . . ويكفي أن يظهر مجدد يصحح لهم الخطأ ، ويقنعهم أن يسيروا في اتجاه آخر . وكل النهضات في التاريخ قام بها شخص عارضوه في أول الأمر . ثم اتبعوه بعد ذلك ، والمعول عليه دائما هو المجازفة بالتجديد . والشجاعة في التغيير على أساس منطق ، وأنا أردت أن ألفت نظر أهل بلدي إلى اللبس المتمشي مع المنطق . . أما صاحبي هذا فهو جاهل ولا يعرف أنه جاهل . .

فصاح مدرس الحساب :

– أنا جاهل يا معتوه . . يا مخبول . . يا مجنون ! . .

فأراد الطبيب أن يهدئه فقال له :

– لا تنفعل ! . . هذه وجهة نظر . . .

فقال بغضب شديد :

– هذه قلة نظر . . هذه قلة أدب . . هذه وقاحة . .

قال الطبيب :

– هو يقصد أنك جاهل بالتفسير التاريخي . . ولكن لا شك أن عندك تفسيرا آخر للون الأحمر . . قل لنا ما هو تفسيرك . . ولكن بدون غضب أو انفعال .

فأجاب :

– اللون الأحمر ؟ ! طبعا لابد له من تفسير . . اللون الأحمر هو الذي نصحح به نحن المدرسين كراريس التلاميذ . .

قال الطبيب :

– جميل ! . . واللون الأسود . . أي زر الطربوش الأحمر ؟

أجاب المدرس :

– اللون الأسود هو طبعا لون الحبر الذي يكتب به التلامذة . .

وهنا ضحك المدرس الآخر حتى اهتز فوق رأسه الطربوش الأخضر بزره الأبيض فاستشاط زميله غضبا وصاح :

– شايف ! . . شايف يا دكتور . . يضحك على كلامي . . يتسخر علي . . مش قلت لك عنده خلل في عقله . . مجنون . . اكشف على عقله يا دكتور . .

فهدأه الطبيب برفق وقال :

– نرجع لموضوع الطربوش الأحمر وزره الأسود . . وقد فسرت أنت ذلك بحبر المدرسين الأحمر وحبر التلاميذ الأسود . .

– تمام .

– هل هذا يرمز إلى شيء يتعلق بالوطن المصري كله ؟

– يعني إيه ؟

– يعني مثلا زميلك رمز باللون الأخضر لخصب مصر وأرضها الخضراء . . فهل يرمز عندك اللون الأحمر . .

فقال المدرس بسرعة :

– لا . . دي بسيطة . . عندك يا سيدي البلح واللب . . البلح الأحمر واللب الأحمر . . وكبان البرتقال الأحمر أبو دمه . . والقرد وقمره الأحمر . . والجن الأحمر . . والورد الأحمر . . والبطيخ الأحمر والعنب الأحمر . . والسمك الأحمر . .

– أنت بتهزر ؟ ! . . .

فقال زميله وهو يضحك :

– لا يادكتور . . دا بيتكلم جد ! . .

– مش معقول ! .

فصاح المدرس بعنف :

– قلت لك يا دكتور دا غرضه يسخرني . لأنه مجنون . . حالته كده يسخر الناس ويسخر نفسه بالطربوش الأخضر ، وأرجوك تكشف عليه بسرعة وتخلصني . . أنا ورايا حصة . .

فقال الطبيب :

– على كل حال حضرتك اقعد معي شوية . . أنا عاوزك . . أما حضرته . . يقدر يروح لحاله . .

فقال لابس الطربوش الأخضر :

– يعني أتصرف أنا ؟ . .

فقال الطبيب :

– أيوه . . حضرتك أنت تقدر تتصرف . .

– متشكر يا دكتور . . سلام عليكم . .

وانصرف . بينما المدرس الآخر الذي جاء به جعل يصيح ويرغي ويزبد ويقول :

– يتصرف ازاي يا دكتور . . دا المجنون . . دا في عهدتي .

ورجع المدرس لابس الطربوش الأخضر إلى الوزارة ، ورآه الموظفون داخلا بمفرده . وسأله المسئولون عن المدرس الذي رافقه وذهب به إلى الطبيب فأخبرهم أن الطبيب حجزه . فاستغربوا وصاحوا :

– الدكتور حجز العاقل ؟ ! .

– أيوه . . وجده غلط في الكلام . . كلامه غير منطق . .

فضربوا كفا بكف ونظروا إلى صاحب الطربوش الأخضر ، وقالوا له :

– وانت . . سايبك وصرفك ؟ ! . .

– وجد كلامي منطقيا ! . .

أما أنا فلم أستغرب شيئا . . وقلت : اذا احتكمنا إلى المنطق وحده فكل الناس عقلاء أوكلهم مجانين ! . .

□□□□□

أما المسئولون فبعد أن قرأوا مذكرتي هزوا رءوسهم قائلين :

مادام مدير التحقيقات عندنا هو هذا

فلنتوقع أي شيء ، فهو أيضا من ضمن المخابيل . . !

□